مجموعة الأسماء الحسنى الدالة على الرزق

مقدمة

لما كان من جملة مخلوقات الله تعالى مخلوقاتٌ حَيَّةٌ، قد ربط اللَّهُ بحكمته أسباب حياتها المقدَّرَةِ إلى حين بأسباب الرزق، كان تقديرُ الرِزْقِ وخَلْقُه مِمّا يَهُمُّ هٰذه المخلوقات الحيَّة، وخصوصاً منها هٰذا المخلوق الذي وهبه الخالقُ العقلَ، وجُزْءاً مِنَ الإرادةِ والقدرةِ على الكسب، وأوْدَعَ في نفسه الحِرْصَ على الحياة.

ولذا كان لا بُدَّ من إبراز حقيقة تَكَفُّلِ الخالقِ برزقِ المخلوق الحيّ، تطميناً للعباد، فكما أنّه القَيُّومُ والحَفِيظُ، هو الرزّاقُ.

ومن ناحية ثانية: لما كان كسبُ الرزقِ في الصُّوَرةِ الظاهرةِ مَنوطاً بالسَعْي، كان لا بُدَّ مِنْ بَيانِ حقيقةٍ من حقائِقِ الخلق والتكوين في الرزق، وذلك بِكَشْفِ صِفَةٍ من صفاتِ أفعال الخلق، وهي أنه هو الرزّاقْ الحقيقي، وما الكسب إلا صُورَةٌ مِن صُوَر جَلْبِ الرِّزْقِ المُقَدَّر بِخَلْقِ اللَّهِ وتكوينه ومَشيئَتِهِ.

وهنا تبرزُ لنا من أسماء اللَّهِ الحسنى أسماءٌ تعودُ إلى صِفَةٍ من صِفاتِ أفعال الله، وتدخلُ في بابٍ كبير ممّا يَهُمُّ العِباد، وهو بابُ الرِزْقِ، وهي مختلفة باختلاف مظاهر الرزقِ.

فبالنظر إلى جميع المخلوقات الحَيَّة، نَرَى أنّ الله قَدَّرَ لها أرْزَاقها التي تَكَفَّلَ لها إمْدادَ حياتها إلى آجالها المُقَدَّرَة لها، ومِن هنا جاء في المأثور من أسماءِ اللَّهِ الحسنى: (الرزّاق).

20 ــ الرزّاق

معنى الاسم: (الرزّاق): مُبالَغَةٌ في الرازق، ومعناه: الذي خلق الأرزاقَ،

وجعَلَ في الأحياء الباعِث على اكتسابها، وخلق فيهم أسبابَ التمتُّع بها. والرزقُ: يَشمَلُ المأكولَ والمشروبَ والمَلْبُوسَ، وكلَّ ما ينتفع بهِ الحيوانُ، ويَشْمَلُ الأرزاق المعنوية كالعِلمِ والهداية والمعارفِ، فلا رزَّاق إلَّا اللَّهُ تعالى.

وقد ورد هذا الاسم الكريم بهٰذه الصيغة في مَوْضِع واحِدٍ من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: 58].

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد محمد الغزالي الشافعي (ت 505 هـ) في تفسير هٰذا الاسم في كتابه «المَقصِد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (الرزاقُ: هو الذي خَلَقَ الأرزاقَ والمرزوقين، وأوْصَلَها إليهم، وخلق لهم أسبابَ التمتُّع بها. والرِزْقُ رِزْقان: رِزقٌ ظاهِرٌ؛ وهي الأقواتُ والأطعِمَةُ، وذلك للظواهِرِ وهي الأبدانُ، ورزقٌ باطِنٌ؛ وهي المعارفُ والمكاشَفاتُ، وذلك للقلوب والأسْرَار، وهٰذا أشرفُ الرزقَيْن، فإن ثمرتَه حياةُ الأَبَدِ، وثمرةُ الرزقِ الظاهِرَةُ قُوَّةُ الجسَدِ إلى مُدَّةٍ قريبةِ الأمَدِ.

واللَّهُ تعالى هو المُتَوَلِّي لِخَلْقِ الرِزْقَيْنِ، المُتَفَضِّلُ بالإيصال إلى كلٍّ من الفريقين، ولكنه: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: 26].

غايةُ حَظِّ العَبْدِ من هٰذا الوصفِ أمران: **أحدُهما**: أن يعرفَ حقيقةَ هٰذا الوصفِ، وأنه لا يَسْتَحِقُّهُ إلّا اللَّهُ تعالى، فلا ينتظرُ الرِزقَ إلّا منه، ولا يتوكَّلُ فيه إلّا عَلَيه.

الثاني: أن يرزقَهُ عِلْماً هادياً، ولساناً مرشِداً مُعَلِّماً، ويَداً مُنْفِقَةً مُتَصَدِّقَةً. ويكونَ سبباً لوصولِ الأرزاقِ الشريفةِ إلى القلوبِ بأقوالِهِ وأعمالِهِ. وإذا أحبَّ اللَّهُ تعالى عبداً أكثَرَ حوائجَ الخَلْقِ إليه. ومهما كان واسِطةً بينَ اللَّهِ وبينَ العبادِ في وُصُولِ الأرزاقِ إليهم، فقد نالَ حَظّاً مِن هٰذه الصِفَةِ. أخرج البخاري في صحيحه، في كتاب الزكاة، بسنده إلى أبي موسى الأشعري قال النبي ﷺ: «**الخازِنُ المسلمُ الأمينُ الذي يُعطي ما أُمِرَ به كامِلاً مُوَفَّراً طَيِّباً به نفسه، فيدفَعُهُ إلى**

الذي أمِرَ له به أحَدُ المُتَصَدِّقِينَ».

وأيْدِي العِبادِ خزائِنُ اللَّهِ تعالى، فمن جُعِلَتْ يَدُهُ خِزانَةُ أرزاق الأبدانِ، ولسانُهُ خِزانَةُ أرزاقِ القُلوبِ، أُكْرِمَ بثوابٍ مِن هٰذه الصِفَةِ). انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي (ت 606 هـ) في كتابه: «النهاية في غريب الحديث والأثر» في شرح هٰذا الاسم: (الرزّاق: هو الذي خَلَقَ الأرْزاقَ، وأَعْطَى الخلائِقَ أرزاقها، وأوصلها إليهم. و(فعّال): من أبنِيَةِ المبالَغَةَ. والأرزاقُ نوعان: ظاهِرَةٌ للأبدان كالأقْواتِ، وباطِنَةٌ للقلوبِ والنفوس كالمعارف والعلوم).

أثر هذا الاسم على المؤمن

المؤمن آمِنٌ على رزقه أن يفوتَ، فإنّ الأرزاقَ في ضمانِ اللَّهِ الذي لا يُخلِفُ وعْدَهُ، ولا يُضَيِّعُ عَبْدَهُ، وقد خَلَقَ الأرضَ مِهاداً وفِراشاً وبِساطاً، وبارَكَ فيها، وقدَّرَ فيها أقْواتَها، وجَعَلَ فيها مَعايِشَ، ووعَدَ عِبادَه فيها بكفالةِ الأرزاق وعداً كرَّرَهُ وأكَّدَهُ وأقْسَمَ عليه، وعْدَ كَريم لا يَبْخَلُ، قديرٍ لا يَعْجَزُ، حَكيم لا يَعْبَثُ: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98]، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الـــــروم: 6]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الـذاريـات: 58]، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الـذاريـات: 22، 23]، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هـــــــود: 6]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت: 60].

بهٰذه الضمانات يَعيشُ المؤمِنُ حياتَه آمِناً على رزقه، مُطْمئِناً إلى أنَّ اللَّهَ لَن يُهلِكَهُ جوعاً، وهو الذي يُطْعِمُ الطيرَ في الوكنات، والسِباعَ في الفَلَوات، والأسماكَ في البحارِ، والديدانَ في الصُّخُورِ. ولقد كان المؤمنُ يذهبُ إلى ميدان الجهاد حاملاً رأسهُ على كفّه، متمنّياً الموتَ في سَبيلِ عقيدته، ومِن خَلْفِهِ ذُرِيَّةٌ ضِعَافٌ، ولكنه كان يوقن أنه يتركهم في رعاية ربٍّ كريم، هو أَبَرُّ بهم وأحْنَى عليهم منه.

21 ـ المُقِيت

معنى هذا الاسم: مأخوذ من القُوتِ، وهو الغِذاءُ، أي: هو خالق الأَقْوات كلِّها، ومُوصِلُها إلى مُقْتاتيها.

أقوال المفسّرين

وقد ورد هٰذا الاسم في موضع واحد من القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: 85] قال ابن عباس، وعطاء، وعطية وقتادة، ومطر الورّاق من المفسّرين ﴿مُقِيتاً﴾ أي: حفيظاً. وقال مجاهد: شهيداً، وفي روايةٍ عنه: حَسِيباً. وقال سعيد بن جبير والسُّدِّي، وابن زيد: قديراً. وقال عبد الله بن كثير من القُرّاء: المُقِيت: المُواظِب. وقال الضحّاك: المُقيتُ: الرزّاق.

وقال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: 9، 10]، هٰذا إنكارٌ مِنَ اللّٰهِ تعالى على الكافرين الذين جَحَدوه، والمشركينَ الذي عَبَدُوا معه غيره وهو الخالق لكلِّ شيء، القاهِرُ لِكلِ شيء، المُقْتَدِرُ على كُلِّ شيءٍ فقال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي نُظَراءَ وأمثالاً تَعْبُدُونها معه، ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي الخالقُ وهو ربُّ العالَمين كلِّهم. وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ يعني: يومَ الأحَدِ ويومَ الاثنين، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ وهو ما يحتاجُ أهلُها إليه من الأرزاقِ والأماكِنِ التي تُزْرَعُ وتُغْرَسُ يعني: يومَ الثلاثاءِ والأربُعَاءِ، فهما مع اليومَيْن السابِقَيْن أَرْبَعَةٌ، ولهٰذا قال تعالى: ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: لِمَنْ أرادَ السُؤالَ عن ذلك ليعلمه. وقال عِكْرِمَةُ ومجاهِدُ في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ وجَعَلَ في كلِّ أرضٍ ما لا يَصْلُحُ في غيرها. وقال ابن زيد: معنا ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي: على وُفْقِ مُرادِ مَن له حاجَةٌ إلى رِزْقٍ أو حاجَةٍ، فإنَّ اللّٰهَ قَدَرَ له ما هو مُحتاجٌ إليه، وهٰذا القَوْلُ يُشبه ما ذكروه في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: 34].

أقوال العلماء في تفسير هٰذا الاسم

قال حُجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي (ت 505 هـ) في كتابه «المَقْصِد الأسْنى في شرح أسماء اللَّهِ الحُسْنَى» في شرح هٰذا الاسم: (المُقيتُ معناه: خالِقُ الأقواتِ ومُوصِلُها إلى الأَبْدَانِ وهي الأطعمة، وإلى القلوبِ وهي المعرفة.

فيكون بمعنى الرَّازِق، إلا أنه أَخَصُّ منه، إذ الرزقُ يتناوَلُ القوتَ وغيرَ القوتِ، والقُوتُ ما يُكتَفَى به في قوام البَدَنِ.

وإما أن يكونَ بمعنى المُسْتَوْلِي على الشيءِ القادِرِ عليه، والاستيلاءُ يَتِمُّ بالقُدْرَةِ والعِلم، وعليه يدلُّ قولُه تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء: 85]، أي: مُطَّلِعاً قادراً. فيكونُ معناهُ راجعاً إلى القُدرةِ والعِلْم. ويكون بهٰذا المعنى وَصْفُهُ بالمُقِيتِ أتمَّ مِن وَصْفِهِ بالقادِرِ وحْده، وبالعالم وَحْدِه؛ لأنَّه دالٌّ على اجتماع المَعْنَيَيْن، وبذلك يَخْرُج هٰذا الاسمُ عن الترادُفِ). انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمام مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجَزَرِيُّ الشافعي (ت 606 هـ) في تفسير هٰذا الاسم في كتابه: «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى «المُقِيتُ»: هو الحَفيظُ. وقِيلَ: المُقْتَدِرُ. وقيلَ: الذي يُعْطِي أقواتَ الخلائِقِ. وهو مِنْ أَقَاتَهُ يُقِيتُهُ، إذا أعْطاهُ قُوتَهُ، وهي لُغَةٌ في: قاتَهُ يَقُوتُه، وأَقَاتَهُ أيضاً إذا حَفِظَهُ، ومنه الحديثُ الذي أخرجه البخاريّ في صحيحه في كتاب الرِقاقِ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً**» أي: بِقَدْرِ ما يُمْسِكُ الرَّمَقَ من المَطْعَمِ.

والحديثُ الذي أخرجه أبو داود في «سننه» وأحمد في «مسنده»: «**كَفَى بالمَرْءِ إثماً أن يُضَيِّع مَنْ يَقُوتُ**» أي: مَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ مِن أهلهِ وعيالِهِ). انتهى كلام ابن الأثير.

أثر هٰذا الاسم على العبادِ

إن مَن يَعْلَم أنّ قوتَهُ بِيَدِ خالِقِهِ الذي عنده خزائن كل شيء، لا يَجْزَع ولا يَقْلَق لرزقه، بل يطمئن ويرتاح، وتغشاه سكينة وهُدوء أعصاب، مع اطمئنانٍ وبَرْدِ يقين، بأنّ قوته وقوتَ عِياله مَضْمُونٌ، بيد خالقه وبارئه ومولاه الذي لا يُضَيِّعُ أحداً ولا ينسى من فضله أحداً، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الحجر: 19 ـ 22]. يقول الإمام محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي المفسِّر المُتوفَّى سنة 1270 هـ في تفسيره «روح المعاني» في تفسير هذه الآيات: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ أي: بَسَطْناها، والظاهِرُ أن المرادَ: بَسْطُها وتَوْسِعَتُها لِيَحْصُلَ بها الانتِفاعُ لِمَنْ حَلَّها، ولا يلزَمُ مِنْ ذلك نَفْيُ كُرَوِيَّتها، كما أن الكرة العَظيمة لِعَظمِها تُرَى كالسَّطح المُسْتَوي ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالاً ثوابت جمع راسِيَة ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ والمَيْدُ الاضطرابُ، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي: مُقَدَّرٍ بِمِقدارٍ مُعيَّنٍ تقتضيه الحكمةُ، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ ما تَعيشُونَ به مِنَ المطاعِمِ والمَشارِبِ والمَلابِسِ وغيرِها ممّا يتعلَّقُ به البَقاءُ ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ أي: وجعلنا لكم معايش ولمن لستم برازقين، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ والخزائِنُ جمع خِزانَة، وهي اسم للمكان الذي يُحفظ فيه نفائسُ الأموالِ لا غيرَ، شُبِّهَت مَقْدُوراتُهُ تعالى الغائبةُ المندرجةُ تحت قدرته الشاملة، في كونها مَسْتُورَة عن عُيون العالمين، ومصونةً عن وُصولِ أيْديهم مع وُفورِ رَغْبَتِهم فيها، وكونها متهيّأة متأتّية لإيجاده وتكوينه بحيث متى تعلّقت الإرادة بوجودها وُجدت بلا تأخر بنفائس الأموال المخزونة في الخزانة السلطانية، فَذَكَرَ الخزائِنَ على طريقة الاستعارة التَخْييلية ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: إلّا مُلْتَبساً بمقدارٍ مُعَيَّن تقتضيه الحكمةُ، وتستدعِيه المشيئةُ التابعةُ لها مِن بين المقدورات غير المتناهية، فإن تخصيص كل شيء بصفة مُعَيَّنة، بِقَدَرٍ مُعَيَّن، وَوَقتٍ مَحْدُودٍ، وما عدا ذلك مع استواءِ الكُلّ في الأشكالِ، وصحَّةِ تعلّقِ القُدْرةِ به، لا بُدَّ له من حكمة تقتضي اختصاصَ كلٍّ من ذلك بما اختصّ به.

22 ــ المُغْنِي

يَطْمَعُ الإنسانُ بالغنى والكفاية في الرزق، وإذْ كان الخالقُ هو المُغْنِي الذي لا مُغْنِي ولا كافي سِواه، كان لا بُدَّ من إبراز صِفَة أنّه المُغْنِي من صِفات أفعاله سبحانه ومن هنا جاء في المأثور مِن أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى: (المُغْنِي).

معناه

مأخوذٌ من الغِنَى والغِنَى: الاكْتِفَاءُ. فاللَّهُ سُبْحَانَهُ هو المُمِدُّ بالغِنَى مَنْ شاءَ مِن عِبادِه، على وَفقِ حِكمتِهِ، ومَن عَرَفَ أنَّ اللَّهَ هُوَ المُغْنِي اسْتَغْنَى بالافتقارِ إليه عَمّا سِواهُ. قالَ اللَّهُ تعالى في معنى أنه المُغْنِي في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: 32]، اشتملت هٰذه الآية على جُمَلٍ مِنَ الأحكام المُحْكَمةِ، فقولُهُ تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ هٰذا أَمْرٌ بالتزويج، وقد ذهب طائفةٌ مِنَ العُلماء إلى وُجُوبِهِ على كُلِّ مَن قَدَرَ عليه، واحْتَجُّوا بِظاهِرِ قَوْلِهِ ﷺ في الحديث المُتَّفَقِ عليه عند الشيخين البخاريِّ ومسلم، عن ابن مَسْعُودٍ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا مَعْشَرَ الشَبابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمُ ٱلْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فإنَّهُ أَغَضُّ لِلبَصَرِ، وأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، ومَن لم يَسْتَطِعْ فعليه بالصَوْمِ، فإنه له وِجَاءٌ**». وقوله تعالى ﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ جمعُ: أيِّم، ويُقالُ ذلكَ للمرأة التي لا زَوْجَ لها، وللرَّجُل الذي لا زَوْجَةَ له، وسَواءٌ كان قَد تزوَّج ثم فارق أو لم يَتَزَوَّجْ واحِدٌ منهما؛ حكاهُ الجوهَريُّ عن أهل اللغة، يُقالُ: رَجُلٌ أَيِّمٌ، وامرأةٌ أَيِّمٌ. وقولُه تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. قال عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عبّاس ﷺ: رغَبَهُمُ اللَّهُ تعالى في التزويج وَوَعَدَهُمْ عليه بالغِنَى فقال: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده إلى أبي بكر الصِدِّيقِ رضي الله عنه قال: أَطِيعُوا اللَّهَ فيما أَمَرَكُمْ به مِنَ النِكاح يُنْجِزْ لكم ما وَعَدَكُم مِنَ الغِنَى، قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾. وأخرجه ابن جرير الطبري عن ابن مسعود ﷺ قال: الْتَمِسُوا الغِنَى في النكاح، يقولُ اللَّهُ تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ وذكر البغويُّ في تفسيره عن عمرَ بن الخطاب ﷺ نحوه. وأَخرجَ الإمامُ أحمدُ في مسنده، والترمذيُّ في جامعه، والنسائيُّ في سننه، وابن

ماجه في سننه، عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ثلاثةٌ حَقٌّ على اللَّهِ عونُهُمْ: الناكِحُ يُريدُ العَفافَ، والمكاتَبُ يُريدُ الأداءَ، والغازي في سبيل الله**». وقد زَوّجَ النبيُّ ﷺ رجلاً لم يجد عليه إلّا إزاره، ولم يقدر على خاتَم مِنْ حَديدٍ، وجعل صَداقَه أن يُعَلِّمَها ما معه من القرآن، والمعهودُ مِن كرم اللَّهِ تعالى ولطفه أن يَرزُقَهُ ما فيه كفايةٌ لها وله.

وقال اللَّهُ تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: 33 ـ 38]

يقولُ تعالى تحقيراً لأمر الدنيا وتهويناً لشأنها: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: حاصِلُها ذلك، إلّا ما كان منها لِلَّهِ ﷻ، ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: هو غنيٌّ عنكم لا يَطْلُبُ منكم شيئاً، وإنما فرض عليكم الصدقاتِ من الأموالِ مواساةً لإخوانكم الفقراءِ، ليعودَ نَفْعُ ذلكَ عليكم، ويرجعَ ثوابُه إليكم. ثم قال جلَّ جلالُه: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ﴾ أي: يُحْرِجْكُمْ تَبْخَلوا، ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ قال قَتادَةُ: قد عَلِمَ اللَّهُ تعالى أَنَّ في إخراج الأموالِ إخراجَ الأضغانِ. وصدق قتادَة، فإنَّ المالَ مَحْبُوبٌ، ولا يُصْرَفُ إلّا فيما هو أحبُّ إلى الشَّخْصِ منه. وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ أي: لا يُجيبُ إلى ذلك ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: إنما نَقَصَ نفسه من الأجرِ، وإنما يعودُ وبالُ ذلك عليه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ أي: عن كُلِّ ما سِواهُ، وكُلُّ شيءٍ فَقيرٌ إليه دائماً، ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ أي: بالذات إليه، فَوَصْفُهُ بالغِنَى وَصْفٌ لازِمٌ له، ووصفُ الخَلْقِ بالفَقْرِ وَصْفٌ لازِمٌ لهم لا يَنْفَكُّونَ عنه. وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ أي: عن طاعته واتّباع شرعه ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: ولكن يكونون سامِعينَ مُطيعين له ولأوامره.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمام الغزالي: مَنْ تَعَلَّقَ ذاتُهُ أو صِفاتُ ذاتِهِ بأَمْرٍ خارج من ذاته، يتوقف عليه وُجودُهُ أوْ كَمَالُهُ، فهو فقيرٌ مُحتاجٌ إلى الكَسْبِ، واللَّهُ هو المُغني، ولكن الذي أغناه لا يَتَصَوَّر أن يَصيرَ بإغنائِهِ غَنيّاً مُطلقاً، فإنَّ أقلّ أموره أنه يحتاجُ إلى المغني، فلا يكون غنياً بل يَسْتغني عن غير الله بأن يمده بما يحتاج إليه، لا بأن يقطع عنه أصل الحاجةِ.

والغنيُّ الحقيقيُّ هو الذي لا حاجَة له إلى أحَدٍ أصلاً، والذي يحتاجُ ومعه ما يحتاج إليه فهو غنيٌّ بالمجاز، وهو غايَةُ ما يدخُلُ في الإمكان في حقّ غير اللَّهِ تعالى، فأمّا فقدُ الحاجَةِ فلا، ولكن إذا لم يبق حاجَةٌ إلّا إلى الله تعالى سُمّيَ غنيّاً، ولو لم يَبْقَ له أصلُ الحاجَةِ لما صحّ قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: 38]، ولو أنه يتصوّر أن يستغني عن كل شيء سِوَى اللَّهِ عزّ وجلّ لما صحَّ لله تعالى وصفُ المغني.

الغِنَى والفَقْر

تعريف الغنى والفقر:

ذكر أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370 هـ) في كتابه «تهذيب اللغة» قال اللَّيْثُ: الفَقْرُ: الحاجَةُ، وفِعْلُهُ: الافْتِقَارُ، والنَعْتُ: فَقيرٌ. وقال الأصْمَعِيُّ: المِسْكينُ أَحْسَنُ حالاً من الفقير؛ لأن الله تعالى قال في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: 60]، وقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: 79]، وهي تُساوِي جُمْلَةً. وعن ابن الأعْرابيّ قال: الفقيرُ: المكسورُ الفَقار، يُضرَبُ مثلاً لِكلّ ضَعيفٍ لا يَنفُذُ في الأُمور. انتهى ما ذكره الأزهري. والغِنَى ـ بكسر أوّله ـ هو: الكِفايَةُ، كما فسّره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

الغنى والفقر في القرآن الكريم

يقول الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ

ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 15]. يُخْبر تعالى بغنائه عمّا سِوَاهُ، وبافْتِقَارِ المخلوقات كُلِّها إليه، وتَذَلُّلِها بين يديه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: هم مُحتاجُون إليه في جميع الحركات والسكنات، وهو تعالى الغنيُّ عنهم بالذاتِ، ولهٰذا قال عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ أي: هو المُنْفَرِدُ بالغِنَى وحدَه لا شريك له، وهو الحَمِيدُ في جميع ما يفعله ويقوله ويقدّره ويُشَرِّعُه.

ويقولُ تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: 53 ـ 56] أي: الأُمَم التي بُعِثت إليهم الأنبياء، ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: يفرَحونِ بما هم فيه من الضلال؛ لأنهم يحسبون أنّهم مُهْتَدون، ولهٰذا قال مُتهدِّداً لهم ومتوعّداً: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ أي: في غَيْهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى حينهم وهلاكهم كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ يعني: أيَظُنُّ هٰؤلاء المغرورُون أن ما نُعْطيهم مِنَ الأموالِ والأولاد لِكرامَتِهم علينا ومَعَزَّتِهم عندنا؟ كلّا! ليس الأَمْرُ كما يزعمُون في قولهم ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، إنما نفعل ذلك بهم استدراجاً وإنْظاراً وإمْهالاً وإملاءً، ولهٰذا قال: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: 55] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: 178] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾﴾ [المدثر: 12 ـ 16] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: 37]، والآيات في هذا كثيرة. قال قَتادَةُ في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ قال: مُكِرَ واللَّهِ بالقَوْم في أموالهم وأولادِهم، يا ابنَ آدم فلا تعتبر الناسَ بأموالهم وأولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح.

الغنى والفقر في السُّنَّة

أخرج الإمامُ أحمد في مسنده عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنَ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنكم أخلاقَكُم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدنيا مَن يُحِبُّ ومَن لا يُحِبُّ، ولا يُعْطِي الدينَ إلاّ لِمَنْ أَحَبَّ، فمن أعطاهُ الدينَ فقد أحَبَّهُ»**.

وأخرج البخاريُّ في «صحيحه»، في كتاب الرِقَاقِ عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«لَيسَ الغِنَى عن كَثرةِ العَرَضِ، ولكِنَ الغِنَى غِنَى النفس»**. قال القُرطبيُّ: معنى الحديث: أن الغنى النافعَ المَمْدُوحَ هو غِنَى النَفسِ، وبيانُه أنّه إذا اسْتَغْنَت نفْسُه كَفَّتْ عن المطامع، فَعزت وعَظُمَتْ وحَصَلَ لها مِن الحُظوَة والنزاهةِ والشَرَفِ والمَدْحِ أكثرَ منَ الغِنَى الذي يَنالُه مَنْ يكونُ فقيرَ النفسِ لِحِرْصِهِ؛ فإنَّه يُورِّطه في رذائِلَ الأمورِ وخَسَائِسِ الأفعالِ، لِدَناءَةِ هِمَّتِهِ وبُخْلِهِ، ويَكْثُرُ مَن يَذُمُّه مِنَ الناسِ، ويَصْغُرُ قَدْرُهُ عِنْدَهم فيكونُ أحْقَرَ مِن كُلِّ حَقِيرٍ، وأذلَّ مِن كلِّ ذَليلٍ. والحاصِلُ أنَّ المُتَّصِفَ بغِنَى النَفْسِ يكونُ قانِعاً بما رَزَقَهُ اللَّهُ، لا يَحْرِصُ على الازْدِيَادِ لغير حاجَةٍ، ولا يُلِحُّ في الطَّلَبِ ولا يُلْحِفُ في السُّؤَالِ، بل يرضَى بما قَسَمَ اللَّهُ له، فكأنه واجِدٌ أبداً، والمُتَّصِفُ بِفَقْرِ النفس على الضدِّ منه، لكونه لا يَقْنَعُ بما أُعْطِيَ، بَل هو أبداً في طلب الازْيادِ مِن أي وجهٍ أمْكَنَهُ، ثم إذا فاتَهُ المَطلوبُ حَزِنَ وأسِفَ، فكأنَّهُ فَقِيرٌ مِنَ المالِ؛ لأنه لم يَسْتَغْنِ بما أُعْطِيَ، فكأنه ليس بِغِنِيّ، ثم غِنَى النَفْسِ إنّما يَنْشَأُ عن الرِضَا بقضاءِ اللَّهِ تعالى والتسليمِ لأَمْرِهِ، عِلْماً بأنَّ الذي عند اللَّهِ خيرٌ وأبْقَى، فَهُوَ مُعْرِضٌ عَنِ الحِرْصِ والطَّلَبِ.

وقال الطِيبِيُّ: يمكنُ أن يُرادَ بِغِنَى النَفسِ: حُصُولُ الكمالاتِ العلمية والعملية، وإلى ذلك أشار القائل:

ومَنْ يُنفِقِ الساعاتِ في جَمعِ مالِهِ   مَخافَةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ

أي: ينبغي أن يُنْفِقَ أوقاته في الغِنَى الحقيقيِّ وهو تحصيلُ الكمالاتِ، لا في جَمْعِ المالِ، فإنه لا يزدادُ بذلك إلّا فَقراً. قال الحافظ ابن حجر: وإن كان يمكنُ أنَ يُرادَ، لكن الذي تَقَدَّمَ أَظْهَرُ في المُرادِ، وإنما يَحْصَلُ غِنَى النفسِ بِغِنَى

القَلْبِ بأن يَفْتَقِرَ إلى ربّه في جميع أموره فَيَتَحقَّقَ أنه المُعْطِي المانِعُ، فَيَرْضى بقضائِهِ، وَيَشْكُرُهُ على نَعْمائِهِ، وَيَفْزَعُ إليه في كَشْفِ ضرّائِه، فَيَنْشأُ عَنِ افتقارِ القَلبِ لِرَبِّه غِنَى نفسِهِ عَنْ غيرِ رَبِّه تعالى، والغِنَى الوارِدُ في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ يَتَنزَّلُ على غِنَى النفس.

وأخْرَجَ الإمام مسلمُ في «صحيحه» عن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**أتَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ؟**» قالوا: المُفْلِسُ فينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتَاعَ، فقال: «**إن المُفْلِسَ مِن أُمّتي مَنْ يأتي يوم القِيَامَةِ بصلاةٍ وصِيام وزكاة، ويَأتي وقد شتم هذا، وقذف هٰذا، وأكل مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هٰذا، وضَرَبَ هٰذا، فيُعْطَى هٰذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهٰذا مِن حَسَناتِهِ، فإن فَنِيَتْ حَسَناتُه قبل أن يُقضَى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه، ثم طُرِحَ في النار**».

23 ـ القَابِضُ

لما كانت حكمة الخالق جلَّ وعلا تقضي بأن يمتحِنَ عبادَهُ بِنَوْعَيْنِ من الامْتِحان والابْتِلَاء:

١ ـ الأول: بتَقْتِير الرزق على بَعْضِهِم لِيَمْتَحِنَ صَبْرَهُم على الفاقَةِ، وإيمانهم بأنَ بَسْطَ الرزْقِ بِيَدِ اللَّهِ، وأنه لو شاءَ بَسَطَهُ، ولو شاء قَبَضَهُ.

٢ ـ الثاني: بَسْطِ الرزْقِ على آخرين، لِيَمْتَحِنَ إيمانهم بأنَّهُ هو الذي بَسَطَ لهم الرزْقَ، فَهَلْ يَشْكُرُون نِعْمَةَ اللَّهِ، ويَعْرِفُونَ حَقَّ اللَّهِ في المال فَيُنْفِقُونَه للفقراء والمَساكِين؟ أم يَبْخَلُونَ ويُمْسِكُونَ ويَقْبِضُون أَيْدِيَهُمْ ويَشِحُّون؟.

فكان ممّا جاء في المأثورِ من أسماء اللَّهِ الحُسْنَى: القابِضُ والباسِطُ.

معنى هٰذا الاسم: القَابِضُ مَأْخُوذٌ من القَبْضِ، وهو لُغَةً: الأَخْذُ. والمراد: التَضْييقُ، فمعنى القابِض: المُضَيِّق لرزْقِ مَنْ أرادَ مِنْ عِبادِهِ. قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: 245].

أقوال المُفَسِّرين في معناه

يحثُّ اللَّهُ تعالى عِبَادَهُ على الإنفاق في سَبيلِ اللَّهِ، وقد كرَّر تعالى هٰذه الآية في كتابه العزيز في غير موضع، وفي حديث النزول أنه يقول: «**مَن يُقْرِضْ غيرَ عَدِيم ولا ظَلُوم**». وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لمَّا نزلت: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾، قال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسولَ اللَّهِ! وإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ليُريدُ مِنّا القَرْضَ؟ قال: «**نعم يا أبا الدَّحْدَاحِ**»، قال: أَرِني يَدَكَ يا رَسُولَ اللَّهِ! قال: فناوَلَهُ يَدَهُ. قال: فإنِّي قد أقْرَضْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ حائِطي - أي: بُسْتانِي ومزرعتي - قال: وحائطٌ له في ستمائة نَخْلَةٍ، وأم الدَّحْدَاحِ فيه وعيالها، قال: فجاءَ أبو الدَّحْدَاحِ فناداها: يا أُمَّ الدَّحْدَاحِ! قالت: لَبَّيْكَ، قَالَ: اخْرُجِي فقد أَقْرَضْتُه رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ». ورويَ عن عمر وغيره من السلف، أن إقراضَ الله عزّ وجلّ هو النفقةُ في سَبيلِ اللَّهِ، وقيل: هو النَّفَقَةُ على العِيالِ، وقيلَ: هو التَّسْبِيحُ والتَّقْدِيسُ. وقولُه: ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: 261] وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عمر قال: لما نزلَتِ هٰذه الآية قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**رَبِّ زِدْ أُمَّتِي**»، فنزلت: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ قال: «**ربِّ زِدْ أُمَّتِي**»، فنزلت: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].

وأخرج الترمذيُّ في «جامعه» عن عمرَ ﷺ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**مَن دَخَلَ سُوقاً مِنَ الأسواقِ فقال: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، لهُ المُلْكُ وله الحَمْدُ وهو على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ، كَتَبَ اللَّهُ له أَلْفَ أَلْفَ حَسَنَةٍ ومَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَرَفَعَ له أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ**». فالكثيرُ مِنَ اللَّهِ لا يُحْصَى، وقولُه ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي: أَنْفِقُوا ولا تُبالُوا، فاللَّهُ هو الرَّزَّاقُ، يُضَيِّقُ على مَنْ يَشَاءُ مِن عباده في الرِّزْقِ، ويُوَسِّعُهُ على آخَرِينَ، له الحِكْمَةُ البالِغَة في ذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: يومَ القيامَةِ.

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «المَقْصِد الأَسْنَى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (القابِضُ الباسِطُ: هو الذي يَقْبِضُ الأَرْوَاحَ عن الأَشْباحِ عِنْدَ الممات، ويَبْسُطُ الأرواحَ في الأجسادِ عند الحياة، ويَقْبِضُ الصدقاتِ مِن الأغنياء، ويَبْسُطُ الأرزاقَ للضعفاءِ، ويَبْسُطُ الرِّزْقَ على الأغنياء حتى لا يَبقَى فاقَةٌ، ويَقْبِضُهُ على الفقراء حَتَّى لا يَبْقَى طاقَةٌ، ويَقْبِضُ القُلوبَ فيُضَيِّقُها بما يَكْشُفُ لها من جَلَالِهِ، ويَبْسُطُها بما يَتقرَّبُ إليها من بِرِّه ولطفه وجَمالِهِ.

القابِضُ الباسِطُ مِنَ العِبادِ: مَنْ أُلْهِمَ بَدائعَ الحِكَمِ، وَأُوتي جوامِعَ الكَلِمِ؛ فَتارَةً يَبْسُطُ قلوبَ العِباد بما يُذكِّرُهُمْ مِن آلاءِ اللَّهِ ونَعْمائِهِ، وتارَةً يَقْبِضها بما يُنْذِرُهُمْ مِنْ جَلالِ اللَّهِ وكِبرِيَائِهِ وفُنونِ عَذابِهِ، وبلائه، وانتقامِهِ من أعْدائِهِ، كما فَعَلَ رسول اللَّهِ ﷺ حَيْثُ قَبَضَ قُلوبَ الصَحَابَةِ عَنِ الحِرْصِ على العِبَادَةِ، حيثُ ذكَرَ لهم «**أن اللَّهَ تعالى يَقُولُ لآدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ: ابْعَثْ بَعْثَ النارِ من ذُرِّيَّتِكَ، فَيقُولُ: كَم؟ فَيقُولُ: مِنْ كلِّ ألفٍ تِسْعَمائَةٍ وتِسْعَةٍ وتِسْعِين**» (أخرجه أحمد في المسند) فانْكَسَرَت قلوبُهم، حتّى فَتَروا عَن العِبادَةِ، فلمّا أَصْبَحَ ورآهُمْ على ما هم عَلَيْهِ مِنَ القَبْضِ والفُتُورِ، رَوَّحَ قُلوبَهم وبَسَطَهُمْ، فقالَ: «**اعْمَلوا وأَبْشِرُوا، فوالذي نَفْسُ محمدٍ بيده ما أنتم في الناسِ يَوْمَ القيامَةِ إلّا كالشامَةِ في جَنْبِ البَعِير أو كالرَّقَمَةِ في ذراع الدابة**». انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (القابض في أسماء الله تعالى: هو الذي يُمسِكُ الرِّزْقَ وغيرَه منَ الأشياء عن العِبادِ بِلُطْفِهِ وحِكْمَتِه، ويَقْبِضُ الأَرْوَاحَ عند الممات، ومنه الحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه»: «**يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ ويَقْبِضُ السماءَ**» أي: يجمعها).

أثر هذا الاسم على العبد

المؤمِن الذي يعلمُ أنَّ اللَّهَ هو القابِضُ الباسِطُ سَلَّمَ أمره لله، وعلم أن رِزْقَهُ

ورُوحَهُ وأُمورَه بيد خالقه، فيطمئن ويرتاحُ، ويسألُ اللَّهَ رَحْمَتَه، ويَعملُ في الدنيا متوكلاً على ربه.

24 ــ البَاسِطُ

معناه مأخوذ من البَسْطِ، وهو لغة التوسِعَةُ: فمعنى الباسِطُ: الموسِعُ لرزق مَن يَشاءُ مِن عِبادِه. قال الله تعالى في معنى أنه الباسط في سورة البقرة: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245].

أقوال المفسّرين

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الرعد: 26]. يَذْكُرُ تعالى أنّه هو الذي يُوَسِّعُ الرِّزْقَ على مَن يَشَاءُ، ويُقَتِّرُ على مَنْ يَشاءُ، لما له في ذلك مِن الحِكْمَةِ والعَدْلِ، وفَرَحُ هؤلاء الكُفَّار بما أُوتوا مِنَ الحياةِ الدنيا اسْتِدْرَاجٌ لهم وإمْهالٌ، كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون: 55، 56]، ثم حَقَّر الحياةَ الدنيا بالنِسْبَة إلى ما ادّخره تعالى لِعِبَادِهِ المُؤمنين في الدار الآخِرَة فقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ كما قال: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: 77]، وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى: 16، 17].

أخرج الإمام مسلم في «صحيحه» عن المستوردِ أخي بني فهر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما الدنيا في الآخِرَة إلاّ كما يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أَصْبَعَهُ هٰذه في اليَمّ، فَلْيَنْظُر بم تَرْجِع**» وأشار بالسبَّابَة ثم قال: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: 28، 29]، أي: تَطِيبُ وتركن إلى جَانِبِ اللَّهِ وتَسْكُنُ عِندَ ذِكْرِهِ وتَرْضَى به مَوْلًى ونَصيراً، ولهذا قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي: هو حَقِيقٌ بذلك، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾، قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: فَرَحٌ وقُرَّةُ عَيْنٍ،

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قال: هي أرضُ الجنّة بالحَبَشِيَّةِ. وأخرج ابن وهب، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**طُوبى شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ مَسِيرَةَ مائة سنة، ثيابُ أهل الجَنَّة تخرُجُ مِن أكمامها**».

وقال الله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: 27] أي: لو أعطاهم فوقَ حاجَتِهِم مِنَ الرزْقِ لَحمَلَهُم ذلكَ عَلَى البَغْيِ والطُغْيَانِ مِن بَعْضِهِم على بعْضٍ أشَراً وبَطَراً، قال قتادةُ ـ من المفسّرين ـ كان يُقال: خَيْرُ العَيْشِ ما لا يُلْهِيكَ ولا يُطْغِيكَ، وذكر حديث رسولِ اللَّهِ ﷺ: «**إنّما أخشى عليكم مِن بَعْدِي ما يُفتَح عليكم مِنْ بَرَكات الأرض**» (أخرجه البخاري) وقولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: ولكن يَرْزُقُهُمْ من الرزْقِ ما يختارُهُ ممّا فيه صَلاحُهُمْ، وهو أعْلَمُ بذلك، فَيُغْنِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الغِنَى، ويُفْقِرُ مَن يَسْتَحِقُّ الفَقْرَ، كما جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» وأبو نُعَيْم في «حلية الأولياء»: «**إنَّ مِن عبادي مَن لا يُصْلِحُهُ إلّا الغِنَى ولو أفْقَرْتُه لأَفْسَدْتُ عليه دِينَهُ، وإنَّ مِن عِبادِي مَنْ لا يُصْلِحُهُ إلا الفَقْرُ، ولو أَغْنَيْتُهُ لأَفْسدتُ عليه دينه**».

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: 64]. يُخْبِرُ تعالى عَنِ اليهود عَلَيْهم لعائِنُ اللَّهِ المُتَتابِعَةِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ بأَنَّهُمْ وصَفُوهُ ـ تعالى عَنْ قَوْلِهِم عُلُوّاً كبيراً ـ بأنه بَخِيلٌ، كما وَصَفُوهُ بأنَّهَ فقيرٌ وَهُمْ أَغْنِياءُ، وعَبَّرُوا عَنِ البُخْلِ بأن قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال عكرمة بن عباس: ﴿مَغْلُولَةٌ﴾ أي: بَخِيلَة، وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: لا يَعْنُونَ بذلك أنَّ يَدَ اللَّهِ مُوثَقَةٌ، ولكن يقولون: بَخيلٌ أَمْسَكَ ما عِنْدَهُ بُخْلاً، تعالى الله عن قولهم عُلُوّاً كبيراً. قال عكرمة: نزلت هٰذه الآية في فنحاص اليهودي عليه لعنَةُ الله أنه قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ فَضَرَبَهُ أبو بكر الصدّيق ﷺ. وأخرجه محمد بن إسحاق، عن ابن عباس: قال رجلٌ من اليهود يُقالُ له شاس بن قَيْس: إنَّ رَبَّكَ بَخيلٌ لا يُنْفِقُ، فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

يَشَآءُ﴾، وقد ردَّ اللَّهُ ﷻ عليهم ما قالوه وقابَلَهُم بما اختَلَقُوه وافتروه وائتفكوه فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، وهكذا وَقَعَ لَهُم، فإنّ عندهم مِن البُخْلِ والحَسَدِ والجُبْنِ والذِلَّةِ أمْرٌ عَظيم، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي: بل هو الواسِعُ الفَضْل، الجزيلُ العَطاءِ الذي ما مِن شيء إلّا عنده خزائنه، وهو الذي ما بِخَلْقِهِ مِنْ نِعْمَةٍ فمِنْهُ وَحدَهُ لا شريكَ له، الذي خلق لنا كلَّ شيء ممّا نحتاج إليه، في ليلنا ونهارنا، وحَضرنا وسفرنا، وفي جميع أحوالِنا، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: 34] وأخرجَ الشيخان البخاريُّ ومسلمٌ في صَحِيحَيْهما عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنّ يمينَ اللَّهِ مَلأَى لا يَغيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ الليلِ والنهارِ، أَرَأَيْتُم ما أَنْفَقَ منذ خلق السماواتِ والأرض، فإنه لم يَغِض ما في يمينه، قال: وعَرْشُه على الماء وفي يَدِهِ الأخرى الفَيْض، يَرْفَعُ ويَخْفِضُ، وقال: يقول الله تعالى: أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عليكَ»**.

القناعةُ والرضا

أثر الأسماء التي تدلّ على الرزق

إنّ مَن يُلاحِظ بتحقّق ما تدلُّ عليه أسماءُ اللَّهِ «الرزاق، المُقيت، الغَنِيّ، المُغْنِي، القابض، الباسط» ويَتَبَصَّرُ بها بإمعان، فإنّه لا بد أن يَأوِيَ مع التَفَكُّر فيها إلى ظلال الرِضى والتسليم للَّهِ، ويَطمئن على رِزْقِهِ المكتوب له، ويَقْنع بما يؤتيه اللَّهُ مِن دُنياه، ولا يلجأُ إلّا إليه في طَلَبِ الرِّزْقِ، ولا يَسْعَى في جَلْبِهِ إلّا مِنْ حيث أَمَرَهُ اللَّه مِن أبوابِ أَحَلَّها؛ لأنّه يَعْلَمُ أنّ رِزْقَهُ مَحْتومٌ، وخَيْرٌ له أن يجنيَ رزقَهُ المَحْتُومَ له، المأمورَ بالسَعْي لِكَسْبِهِ، مِنْ طُرُقٍ كريمة يؤجَرُ عَلَيْها ويُثابُ، لا أن يَجْنِيَهُ مِنْ طُرُقٍ خَبيثَة يُؤْزَرُ عليها ويُعاقَبُ، وهٰذه هي سَبيلُ المؤمنين العارفين بِرَبِّهم.

كما يُعْلِنُ في عقيدته في باب الرزق، ما أعلنه سَيِّدُنا إبراهيمُ ﷺ فيما يحكيه اللَّهُ تعالى عنه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: 75 ـ 82].

معنى القَناعةِ والرِّضا

إنّ القناعَة والرِضا بما قَسَمَ اللَّهُ تَعْنِي أَمْرَينِ:

أَوَّلُهما: أن الإنسان بطبيعته شديدُ الطَمَع والحِرْص على الدنيا، لا يُكادُ يشبع منها أو يرتوي، وقد صَوَّر ذلك الحديثُ النَبوي الذي أخرجه الإمامُ البخاري في صحيحه: «**لو كان لابن آدَمَ واديان مِن ذهب لابتَغى ثالثاً، ولا يملأ عينَ ابنِ آدمَ إلاّ التراب**».

لقد أنزَل اللَّهُ دينَه وَدَعَا الناسَ إلى الاعتدالِ في السَّعْي للغِنَى، والإجمالِ في طلب الرِزْقِ، وبذلك يُقيمُ التوازُنَ في نفسه وفي حياته، ويَمْنَحُه السكينة التي هي سِرُّ السعادة ويُجنِّبُه الإفراطَ والغُلُوَّ الذي يُرهِقُ النفسَ والبَدَنَ معاً، ومِن ثَم قال ﷺ: «**إنَّ روحَ القُدُسِ نَفَثَ في رَوْعِي أَنَّ نفساً لَنْ تَموتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها، فاتَّقُوا اللَّهَ وأَجْمِلُوا في الطَلَبِ**» (أخرجه العسكري في الأمثال عن ابن مسعود).

ولو تُرِكَ الإنسانُ يَسْتَسْلِمُ لِنَزَعَاتِ حِرْصِهِ وطَمَعِهِ، لأَصْبَحَ خَطَراً عَلى نَفْسِهِ وعلى مجتمعه، فكان من رحمة اللَّهِ أنْ وَجَّه طُموحَهُ إلى قِيَم أَرْفَعَ، وَمَعانٍ أَسْمَى، ورِزقٍ أَبْقَى، وذلك بتَرْبِيَتِهِ وتهذيب نفسه، يقول الله تعالَى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: 131]. ويقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ، 15].

إن الإيمان باللَّهِ يَحُدُّ من ثَوْرَةِ الحِرْصِ والطَمَعِ، وطُغْيان الشراهَةِ والجَشَعِ على النفس البَشَرية، فلا تَسْتَبِدُّ بها، وتجْعَلُها تحيا في قَلَقٍ دائِمٍ لا تَكْتَفِي بقليل،

ولا تشْبَعُ مِن كثيرٍ، لا يُطْفِئُ غُلَّةَ طَمَعِها ما عندَها، فَتَمْتَدُّ عَيْنُها إلى ما عِنْدَ غَيْرِها، ولا يُشْبِعُهَا الحلالُ، فَيَسِيلُ لُعابُها إلى الحرامِ، مِثْلُ هٰذه النفسِ لا تَرْضَى ولا تَسْتَرِيحُ، إنها شَرِهَةٌ تَلْتَهِمُ الملايينَ وتَطْمَعُ بالمزيدِ.

إنَّ الإيمانَ باللّٰهِ تعالى يوجِّهُ النُفوسَ إلى القِيَمِ المَعْنَوِيةِ العالِيَةِ، إلى رِضْوَانِ اللّٰهِ الحيِّ الذي لا يموتُ، وما أَعَدَّهُ في الآخِرَةِ الباقِيَةِ من ثوابٍ عَظِيمٍ، ونَعِيمٍ مُقِيمٍ دَائِمٍ لَا يَنْقَطِعُ، ويُصَحِّحُ مَفْهُومَ الغِنَى والفَقْرِ عنده، فَيَعْلَمُ أَنَّ الغِنَىَ لَيْسَ في وَفْرَةِ المالِ وكَثْرَةِ المَتَاعِ. وإنما هو في داخلِ النَّفْسِ أصلاً، كما جاء في الحديث المُتَّفَقِ عليه عند الشيخَينِ البخاريِّ ومُسْلِمٍ عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الغِنَى عن كَثْرَةِ العَرَضِ، إنَّما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**».

والأمرُ الثاني: الذي تعنيه القَنَاعَةُ والرضى بما قَسَمَ اللّٰهُ: أَنَّ تَفاضُلَ الناسِ في الأَرزاقِ كَتَفاضُلِهِم في المواهِبِ والمَلَكاتِ، سُنَّةٌ مُطَّرِدَةٌ، خَلَقَ اللّٰهُ الإنسانَ عليها في هٰذه الحياةِ الدنيا، اختِباراً وابتلاءً، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ [النحل: 71] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء: 30] وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: 165]. فكما أنَّ في الناس القَصيرَ والطويلَ، والدميمَ والجميلَ، والغَبِيَّ والذَّكيَّ، والضعيفَ والقَوِيَّ، كذلك يوجد المُوَسَّعُ له والمُضَيَّقُ عليه، هٰذه سُنَّة اللّٰهِ التي خَلَقَ اللّٰهُ الخَلقَ عَلَيْها اختباراً وابتلاءً، ولا يَستطيعُ الإنسان تغييرها مهما سَنّ من قوانين وأنظمة وتشريعات، إن الإيمان بالله يجعل الإنسانَ المؤمنَ واقعياً يفهم طبيعة الحياة، فلا يَعيشُ حياتَه في هَمٍّ ناصِبٍ، وتَعَبٍ واصِبٍ، جَرْياً وراء الثَّرْوَةِ والمالِ؛ فيصبحُ هٰذا المال هَدَفاً يَسْعَى إليه الإنسان، ويُضَحِّي للوصولِ إليه بِقِيَمِهِ ودينِهِ وأخلاقِهِ، ويذكّره دائماً أنه خُلِقَ في هٰذه الدنيا لِهَدَفٍ أَسْمَى وغايةٍ أنبل وأرفع، قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]، وقد جَعَلَ اللّٰهُ المالَ وَسِيلةً لِلْعَيْشِ الكريمِ، يَبْلُغُ بها الإنسانُ هَدَفَهُ في الحياة، وليس هدفاً بذاتِهِ يَسْعَى إليه.

إن الإيمانَ باللّٰهِ يُرَبِّي الإنسانَ على القناعَةِ، فلا يكونُ أكبرَ همّه النظرُ إلى ما

أُوتيهِ الآخَرونَ مِن نعمة، نظْرةَ الحاسِدِ الذي يشتَعِلُ قَلْبُه، ويَغْلِي صدرُه بالبغضاء، وتموجُ نفسه بالطمع، فيعيشُ في نكدٍ وشَقاء، وإنما يَنْظُر إلى ما أَنْعَمَ اللَّهُ به عليه مِن نِعَم كثيرة، ويَنظر إلى مَن دُونَه مِمَّن حُرِمَ مِثلَ هٰذه النِعَم، فيطمئن ويَسْعَدِ ويرضى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: 32]، وقال ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفلَ منكم ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم فهو أجدرُ ألّا تزدَرُوا نعمةَ اللَّهِ عليكم**» (أخرجه أحمد في المسند).